

العدد بين الحساب واللغة

د. محمد سمير نجيب اللبدي

جامعة الإسراء الخاصة

المقدمة:

العدد في مفهومه الظاهري والحقيقي هو ما دل على الكميات والمقادير، سواء أكان جوابا عن سؤال صريح أو مقدر أو كان إخبارا عن استكثار، وليس له في اللغات في ما نعلم أية دراسات لغوية خاصة تغطي صياغته وبيان إعرابه وأصول استخدامه وطبيعة علاقته بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث أو الأفراد والتثنية والجمع كما هو شأنه في لغتنا العربية التي خصت كل مفرداته بقواعد ثابتة تبين كل جوانب الاستعمال المتعلقة به.

فالعدد في اللغة العربية فئات مختلفة، تتباين في علاقاتها مع معدوداتها تقديمًا أو تأخيرًا وتذكيرًا أو تأنيثًا أو مطابقة أو مخالفة، بالإضافة إلى مواقع إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا، ومواقع المعدود فيه من حيث الوصف أو التأكيد أو النصب على التمييز أو الجر بالإضافة.

لذلك نراه قد خص بنصيب وافر من الحديث عنه في ألفية ابن مالك، كما أن مراجع النحو ومصنفاته قد خصته بمساحة جيدة من البحث والشرح والتفصيل وصياغة المتون حوله وتحسينها.

فلأعداد في لغتنا أصولها الاشتقاقية، ولها مدلولاتها الكثيرة، كما أن لها أصولا صياغية يجب أن تراعى في التعبير عنها، وأصولا صوتية يجب أن تلاحظ كذلك، فلا يجوز رفعها أو رفع معدوداتها في موضع النصب، كما لا

يجوز جرّها في موضع الجر، ولا إعرابها في موضع البناء، ولا بناؤها في موضع الإعراب، ولا تذكيرها في موضع التأنيث أو تأنيثها في موضع التذكير.

لكل ذلك فلسفته التي انطلق منها أو بنى عليها؛ إذ لم ينشأ سمت معين في صياغة الأعداد من فراغ، وإنما قام على أصول وتعليقات تستحق التبجيل لمن جهدوا في تحليلها واجتهدوا في وضعها كما سنذكر في متن البحث.

من هنا، رأينا أن نبحت في العدد ليس فقط كرمز حسابي مقداري وإنما كصياغة لغوية لها أصولها وقواعدها مغايرين في ذلك ما أمكن الطريقة المعهودة التي عرضته بها كتب النحو ومؤلفاته متوخين في بحثنا التعرض لعلاقة العدد بشكل عام باللغة من كل جوانبها، بالإضافة إلى دلالاته المقدارية في أصل وضعه ومفهومه، وهو ما نأمل أن نكون قد وفقنا في عرضه وكشفه.

العدد بين الحساب واللغة

يشغل العدد في حياتنا مساحة كبيرة، حتى إذا ما بحثنا عنه في كل المرافق والجوانب وجدناه حاضرا في الأموال والأزمنة والأمكنة، ولا يكاد حديث من أحاديثنا يخلو من ذكرٍ للأعداد بكل مستوياتها. فإذا تناولنا الزمن وجدناه في الأيام والأسابيع والشهور والسنوات والأعمار والأجيال والقرون والتاريخ والمعارك والغزوات والحروب والأحداث.

وإذا تناولنا المكان وجدناه في جغرافية الحدود وأطوالها ومساحاتها، وما زاد فيها وما نقص، ناهيك عن الأموال والأرزاق ومقاديرها وأرباحها ودخولها وخساراتها ومدفوعاتنا وعجوزاتها.

نجد العدد في كل هذه الجوانب وغيرها حاضرا قائما لا يخلو منه حديث أو مقال أو محاضرة أو بحث أو تقرير.

وقد تتخذ الأعداد في كلامنا أشكالا مختلفة، فهي حينما أعلام على الكميات والمقادير، وهي في أحيان أخرى دلالات على التقسيم والترتيب والتبويب والقياس، وهي كذلك كنايات عن المبالغة في الكثرة أو القلة.

وفي كتابتها تكون حينما بشكل الرموز الاصطلاحية المعروفة في اللغات، وحينما بشكل الحروف الهجائية، كما أنها تصنف إلى خانات ومنازل تحفظ لها كمياتها المقدارية نزولا أو صعودا.

وما من شك في أن الأعداد بكل مقاديرها تنتمي إلى كل العلوم الإنسانية، وبخاصة علم الرياضيات بعامة والحساب بخاصة، فهو الأساس بالنسبة لها، وبقية العلوم كما أشرنا آنفا لا تخلو منها ولا غناء لها عنها، فهي وسيلة التقسيم والجدولة، وهي دائما محتوى النتائج الإحصائية لكل المتعدّدات،

ولهذا يقرر النقاد والأدباء أن خلو الكلام الأدبي من الأعداد هو خاصية من خصائص هذا الأسلوب.

وإذا كان العدد في حقيقته العلمية الرياضية مجرد علم على كمية أو ترتيب، فإنه أيضا بحث عقلي تجريدي تتبثق منه رياضيات ذهنية مختلفة، تكتسب أحيانا أبعادا فرعية إضافية فضلا عن أبعاده العلمية البحتة.

والعدد بمفهومه الكمي جانب عالمي إنساني، يعد كما قلنا عنصرا رئيسا في كل جوانب العلم وفروعه، وهو بهذا المفهوم لا يفيدنا في بحثنا هذا إلا بمقدار ما يتصل منه بالجانب اللغوي الذي سنتطرق إليه.

وفي تأكيدنا أن بحث العدد من الناحية اللغوية لم يطرق كأسلوب، ولم يُتناول كتركيب لغوي يخضع لقواعد ثابتة، وأسس صوتية لغوية محددة كما طرقت في اللغة العربية التي اتخذت منه عنوانا لبحث نحوي أسلوبى واسع، خضع لاستقراء منطقي وفلسفة تحليلية دقيقة طريفة. فالعدد في لغتنا بحث تكويني، وليس بحثا حسابيا كليا فقط، فهو في نحونا أسلوب استخدامي مستقرا من كلام العرب والقرآن الكريم وشواهد العصور المعتمدة.

حديثنا إذن في هذا البحث: سيدور حول العدد من الجانب اللغوي وليس الجانب الحسابي، أي: أننا سنتناول هذا الموضوع من حيث العدد اللغوي كأسلوب تركيبى له قواعده وأصوله التي يجب أن تتبع عند بنائه حتى تتوافر له سلامة الاستخدام وصحة التعبير.

وابتداء وقبل أن نتعرف إلى العدد من الناحية اللغوية، وما إذا كان هناك علاقة بين هذا الجانب والجانب الكمي الحسابي أم أنهما متداخلان يجب أن نتعرف إلى لفظي العدد والرقم، وهل هما مترادفان أم مختلفان ؟

بين العدد والرقم:

يستخدم الناس لفظ الرقم مرادفا للعدد، بمعنى أن الرقم هو العدد والعدد هو الرقم، في حين أن نصوص المعجمات لا تحتمل ذلك ولا تقيده، فكلمة رقم تدور حول معان متعددة ليس منها العدد، فمن ذلك: الكتابة، يقال: رقمت الكتاب أي كتبت، والتوسية، يقال: رقم الثوب وشاه.

كما يقال: التاجر يرقم الثياب أي: يعلمها، ويقال رقم الكتاب، بين حروفه ونقطه، ورقم الكتاب وترقيمه وتبينه^(١)، والرقم الكتابة والختم^(٢) وهو ضرب من البرود، وضرب مخطط من الوشي^(٣).

ومن المجاز قولهم: هو يرقم في الماء: وهذا مثل يضرب للذي يعمل ما لا يعمله أحد لحذقه^(٤)، أو لمن يعمل عملا لا طائل تحته^(٥) والرقيم في قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم"^(٦) اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهف، أو اسم الوادي الذي كانوا فيه، وقيل أيضا إنه لوح رقم أي: كتب فيه حديثهم، وجعل على باب الكهف^(٧).

وهكذا ويتبع هذه المادة في معجمات اللغة التراثية لم أقع فيها على ما يفيد أن الرقم هو العدد، ويبدو أنه استخدام حديث قد شاع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، حتى أصبح في الاستعمال مرادفا للعدد، ويعزز هذا القول ما ورد في المعجمات الحديثة، حيث جاء في أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد^(٨). أن هذا الاستخدام خاص بالحاسبين الذين يطلقونه على الأعداد من ١-١٠ ويتناول الصفر أيضا، ويقال لها الأرقام الهندية.

(١) أساس البلاغة الزمخشري مادة (رقم) ص ١٧٤ ط ١ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) اللسان ابن منظور مجلد ١٢ ص ٢٤٩ مادة رقم

(٣) اللسان ابن منظور باب الميم فصل الراء مجلد ١٢ ص ٢٤٩.

(٤) أساس البلاغة الزمخشري مادة رقم ص ١٧٤.

(٥) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص ٥٤٣.

(٦) سورة الكهف الآية ٨.

(٧) تفسير القرآن الكريم، مختصر تفسير القاسمي - اختصار الشيخ صلاح أرقه دان - دار النفاثس.

(٨) الشرتوني، سعيد الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج ٣، ص ٤٢٥.

وقيل في جملة ما قيل إن الرقم رمز يستعمل للتعبير عن العدد^(١)، وإن الرقم لفظ مجمعي، وأنه في علم الحساب رمز مستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة، وهي الأعداد التسعة الأولى والصفير^(٢). وهو كلام يشعر بأن الرقم مجرد رمز للعدد وليس العدد نفسه، بدليل قصره على الأعداد الأولية دون تغطية الأعداد كلها.

وفي رأينا إذا ما أردنا التوفيق بين اللفظين أن نقول إن العدد لا يكون رقما إلا إذا كان مكتوبا، حيث يقال الرقم المرقوم كما يقال العدد المرقوم، أو المبلغ المرقوم، ولا يقال العدد المعدود، فالأرقام هي علامات الترقيم من نقطة وفاصلة وتعجب، توضع أثناء الكلام أو في آخره، ولا تكون أعدادا مفيدة للكميات إلا في حالة كتابتها، لتكون بذلك أعدادا مرقومة، وأما في حالة لفظها، فهي كما نرجح أعداد وليست غير، فكل رقم ليس بالضرورة أن يكون عددا كما أن كل عدد ليس بالضرورة أن يكون رقما ما لم يكتب.

ويقوي هذا في رأينا أن العرب لم يكونوا يستعملون الرموز العددية في التعبير عن الكميات، سواء أكانت رموزا هندية نحو ١، ٢، ٣ أو عربية نحو 1, 2, 3، بل كانوا يلفظون العدد أو يكتبونه ويرقمونه بالحروف، سواء في رسائلهم أو تاريخ أحداثهم ورصد وقائعهم وتسجيل مقاديرهم وكمياتهم، ولعل هذا ما أدى إلى الخلط بين لفظي العدد والرقم، واستعمال كل منهما مرادفا للآخر. ومع ذلك فإن هذا الاستنتاج لا يعني في رأينا بالضرورة مصادرة لفظ الرقم في معنى العدد، فاللغة تنمو وتتطور، ولا يضيرها أن يرادف لفظ آخر ذاع وشاع كما هو الشأن في الرقم والعدد، فنحن في كل الأحوال مع نمو اللغة،

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص ٥٤٤.

(٢) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وآخرون ج ١ ط ٢ مادة (رقم) ص ٣٦٦.

وليس مع تجميدها وحصرها في لغة المعجمات ومفرداتها، وما قلناه هو للتحقيق والتوثيق وليس غير.

العدد في اللغة:

العدد مصدر الفعل "عد"، ويجمع على أعداد، والعدد هو مقدار ما يعد، والعد هو الإحصاء^(١)، أي: تعقب المعدود وإعطاؤه لفظاً يصبح بالتالي عَلَمًا عليه يدل على مقداره وكميته أو ترتيبه.

ومما يجدر التنويه به في هذا المقام أن العدد الحسابي لم يكن ببعيد عن الحديث عنه في مراجع اللغة ومعجماتها ومصنفات نحوها، فقد ورد في تعريف العدد بعامة أنه ما ساوى نصف حاشيته الصغرى والكبرى^(٢) بمعنى أن لكل عدد حاشية كبرى وهي العدد الذي يسبقه، وصغرى وهي العدد الذي يلحقه فإذا جمعت الحاشيتان كان العدد نصف هذا المجموع، فالعدد - ٦ - مثلاً هو نصف مجموع السبعة والخمسة.

وجاء في بعض مراجع اللغة المعجمية النوعية، كمعجم الكليات لأبي البقاء الكفوي أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات^(٣)، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد^(٤).

(١) المعجم العربي الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة عدد ص ٨٢٤.

(٢) الصبان، محمد بن علي الصبان، الحاشية على الأشموني، ج ٤، ص ٦١ الحلبي + الكفوي/ أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصباح المنير الفيومي - دار الكتب العلمية مادة العين والذال وما يتلثهما ص ٤٦٩ + الكفوي، الكليات، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٤) الكفوي، الكليات ج ٣، ص ٢٥٤.

كما ورد فيه كذلك تقسيم العدد إلى تام^(١)، وهو الذي إذا ما اجتمعت أجزاؤه كانت مثله، نحو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة هي النصف والثالث والسادس، فالنصف - ٣ -، والثالث اثنان، والسادس واحد ومجموع ذلك ستة.

وعدد ناقص وهو الذي إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه، وهو الثمانية، فإن أجزاءها: النصف وهو ٤، والرابع وهو ٢، والثمانون وهو ١. فالمجموع سبعة، والعدد الزائد وهو العدد الذي إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر، فإن أجزاءها للنصف وهو -٦- والثالث وهو -٤- والرابع وهو -٣- والسادس وهو -٢- فالمجموع خمسة عشر وهو زائد على الأصل.

فمرجع كهذا يتعرض لتصنيف العدد إلى هذه الأصناف الدقيقة بالشكل الذي قدمناه، يدل على أن اللغويين لم يكونوا يعيدون عن العدد الحسابي الإحصائي الذي لا يمكن أن يفصل عن البيان اللغوي بأي حال.

فاللفظ بكل مشتقاته وصيغته يدور حول العدد والتعداد، واللغة كما رأينا وسنرى هي الراصد الدقيق لكل الصيغ التي دارت حول هذا المعنى.

العدد في الدراسة النحوية:

إذا كان العدد في مفهومه الاصطلاحي الحسابي كما عرفنا هو الكم الذي يترتب عليه في ما بعد وضع لفظ يكون نتيجة لعمليات الإحصاء والعد والتجميع، فإن العدد في البحث اللغوي يتضمن هذا المعنى ولكنه يأخذ منحى آخر.

فالعدد الحسابي بكل أشكاله كمية ومقدار في حين أن العدد اللغوي بالإضافة إلى ذلك هو أسلوب وتركيب وسمت كلام.

(١) المرجع السابق.

والحديث عن العدد اللغوي صياغة يختلف عن العدد الحسابي ترميزا وجدولة، ونحن في بحثنا هذا سنتطرق إلى العدد من حيث الاستخدام التركيبي اللغوي، لأنه في هذا الإطار نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود. إذ إن العدد مفردا لا مفهوم له إلا بمعدوده^(١)، مذكورا أو مقدرا، وهذا المعدود في الاصطلاح هو المسمى بتمييز العدد، لأنه موظف لتمييزه وإزالة إبهامه.

والعلاقة بين العدد والمعدود لا تخرج عن العلاقة بين التمييز والمميز، فكما أن التمييز ويسمى التفسير والتبيين^(٢) يفسر ويميز المميز المبهم، فإن المعدود كذلك يفسر العدد ويبينه، ولهذا يصنفه النحاة من أنواع التمييز الخاص بالمقادير وهو من أنواع التمييز المفرد.

والمعدود سواء أكان مفردا منصوبا نحو "طالباً" في ثلاثون طالبا أم مفردا مجرورا في نحو: "طلاب" من ثلاثة طلاب، فهو اللفظ الذي يزيل الإبهام الموجود في العدد.

فالعدد ثلاثون لا مفهوم له مفردا، وهو مجهول المعنى والغرض، وكذلك لفظ ثلاث، ولا يزول إبهامهما إلا بذكر المعدود، فلهذا يسمى بالتمييز في حالة النصب وهو كذلك في حالة الجر بالإضافة.

لكل ما ذكرنا نرى العدد والمعدود يشكلان مركبا متعدد الأنواع، لأن الجزء الأول من هذا المركب لا يستغني كما أسلفنا عن الجزء الثاني ولأن الثاني يكون مع الأول مفهوما مقداريا لا يتضح إلا بهما.

(١) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٢، دار المعارف.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٩.

والعدد بعامة خاضع إعرابيا لموقعه في الجملة، فقد يكون مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا، وقد يكون مبنيا على الفتح كالأعداد المركبة التي لا تريم عن البناء، باستثناء العدد ١٢ الذي يعرب جزؤه الأول إعراب المثني، ويبني جزؤه الثاني على الفتح دون أن يكون له إعراب، لأنه بمثابة النون من المثني، وهو السبب في عدم إضافته كأخواته المركبة إلى صاحبها، فلا يقال هذه اثنا عشر كما يقال هذه إحدى عشر^(١).

والعدد إذا لم يكن جزءا من مفهوم الجملة فيخضع للإعراب وأريد به العد فقط، سمي بالعدد المسرود، ويكون في هذه الحالة موضوعا على الوقف، حيث يقال: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، إلى الألف، وذلك لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة، شأنه في ذلك شأن حروف التهجّي، حيث يقال في سردها: ألف، جيم، تاء، هاء، نون^(٢).

دلالة العدد اللغوي:

إن الحديث عن العدد اللغوي لا ينفصل كما ذكرنا عن الحديث عنه حسابيا ومقداريا، فنحن عندما نفرد عنوانا لدلالة العدد اللغوي، لا يعني أننا سلخناه عن مفهومه الدلالي الأصلي، وإنما أردنا الحديث عنه في صياغاته اللفظية اللغوية.

فالعدد بعامة إما أن يدل على الكمية، ويسمى العدد الأصلي، نحو خمسة وستة وأحد عشر، أو يدل على ترتيب الأشياء فيسمى العدد الترتيبي^(٣)، وهو

(١) الزمخشري/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، المفصل في علم

العربية ص ١٥ دار الجيل، بيروت.

(٢) الزمخشري، المفصل ص ٢١٦.

(٣) الشرتوني، رشيد، مبادئ العربية في العرض والنحو، ص ١٤٠، منشورات الآداب الشرقية.

الذي يدل على رتبة الأشياء فيما بينها نحو: الخامس والسادس والحادي عشر والسبعون والمائة والألف.

ولهذين النوعين: الأصلي والترتيبي أحكام لغوية تتعلق بكل منهما، وتبين طريقة استعماله ولفظه وتركيبه.

فالعدد الأصلي، وهو الدال على الكميات يبدأ من ١-١٠٠٠، وما قبل الواحد هو الصفر الذي لا يدل على شيء. والصفر كما ورد في المعجم لفظة تدل على خلو منزلتها من العدد، ويرمز إليه بالعربية هكذا (0) وبالهندية (٠).^(١) وليس بعد الألف إلا مضاعفاته، وما يتبعها من زيادات العقود والنيفات، وأما المليون فهو تعبير غير عربي، وإذا ما أريد في العربية أن يعبر عن كميته قيل ألف ألف أي: مليون وليس غير.

العدد الأصلي من حيث الاشتقاق:

العدد الأصلي المفرد هو مجموعة الأعداد من ١-١٠ وألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ ولفظي المائة والألف، يضاف إلى هذه المجموعات الأعداد المركبة من ١١-١٩، والأعداد المعطوفة من ٢١-٩٩، وهذه الأعداد هي تشعيب للأصول وتفرع عنها.^(٢)

وقد صنف اللغويون هذه الأعداد بحسب دلالاتها العددية وإعرابها وطريقة ضبطها، وبحسب علاقتها بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث، وطبيعة المعدود من حيث الإفراد والجمع والنصب والجر.

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة صفر ص ٧٣٨.

(٢) الزمخشري، المفصل ص ٢١٢.

ولسنا في هذا البحث متوخين هذا التصنيف كما ورد في مراجع النحو ومطائنه، فهو معروض فيها بشكل تفصيلي لا غناء في تكراره. وإنما نحن في بحثنا هذا نحاول أن نلمس الجوانب المتعلقة بالعدد، والتي لم يركز عليها في الغالب ضمن جهود بحثية خاصة، وهوما نحاول القيام به في هذا البحث.

ولعل من مداخل الحديث في هذا الجانب أن نتعرض للأعداد في اشتقاقها وأصولها وتفرعاتها بالشكل التالي:

العدد (واحد)، ويرمز إليه بـ (1) أو (١) ، وهو أول العدد وكذلك الواحد والأحد، وهو مشتق من الوحدة، وله صيغ عديدة حيث يقال "واحد" للمذكر وواحدة وإحدى للمؤنث، ويستعمل صفة لمعدوده أو توكيدا له كما قيل في قوله تعالى: "ونفخ في الصور نفخة واحدة"^(١)، إذ تعرب كلمة واحدة صفة لنفخة أو توكيدا^(٢)، ولا يتقدم هذا العدد على معدوده، فلا يقال واحد رجل وإنما يقال رجل واحد.

وقيل إن الواحد ليس بعدد^(٣)، لأن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فلا يكون الواحد عددا^(٤) ولأن العدد كذلك كم منفصل، وهو قسم مطلق الكم، ولا يقبل القسمة لذاته كما أنه ليس له حاشية صغرى كبقية الأعداد^(٥)، والهمزة في إحدى وأحد منقلبة عن الواو، ولا يستعملان في الأعداد إلا في المنيفة، فيقال واحد وعشرون وإحدى وعشرون^(٦).

(١) سورة الحاقة الآية ١٣.

(٢) محيي الدين درويش، إعراب القرآن.

(٣) حاشية الجمل مجلد ٤، ص ٣٩٧.

(٤) الجرجاني، التعريفات + المصباح المنير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء ج ٣، ص ٢٥٤ + الأشموني ج ٤.

(٦) الزمخشري، المفصل ص ٢١٦.

وفي التركيب يقال: أحد عشر، وفي منهج الترتيب يقال الواحد والحادي عشر والحادي والعشرون، ولا يستعمل حاد وحادية إلا مع (عشر) ومع (عشرين وأخواته) فيقال حاد وعشرون بدون أل أو حادية وعشرون^(١)، ومن هذا العدد تشتق الأحادية والأحادي والموحد والموحد.

العدد (اثنتان)، ويرمز إليه بـ (2) أو (٢). وهو لفظ مشتق من الثاني، ويطلق على المذكر عدا أو وصفا، وقد يعرب توكيدا أو صفة لما قبله^(٢)، وهو من الألفاظ الملحقة بالمتنى إعرابا لعدم وجود مفرد له، ويعرب إعرابه سواء أكان مفردا أم مركبا أم معطوفا عليه.

ومعدوده كمعدود الواحد متقدم عليه دائما حيث يقال: رجلان اثنتان، وامرأتان اثنتان، كما يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ولا يقال واحد رجل، أو اثنا رجلين لأن كلمة (رجل) تفيد الجنسية والوحدة، ورجلان يفيد الجنسية وشفع الواحد، فلا حاجة إلى الجمع بينهما^(٣). وجاء على غير قياس قولهم:

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

إذ المفروض أن يقال: ظرف عجوز فيه حنظلتان اثنتان^(٤).

وهذا العدد يلفظ بهمزة الوصل حيناً، أو بدونها فيقال اثنتان أو ثنتان^(٥)، حيث تحذف الهمزة لكثرة الاستعمال.

(١) ابن الناظم، جمال الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو ص ٢٩٠.

ولد سنة ستمائة ومات في شعبان سنة ٦٧٢هـ.

(٢) حكمه حكم الواحد.

(٣) الدقر، عبد الغني، معجم النحو.

(٤) أي مع بقاء النون، إذ لا إضافة في هذه الحالة. المفصل الزمخشري، ص ٢١٢.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، الأنموذج - شرح الأربيلي - جمال الدين محمد بن عبد الغني

تحقيق د. جني عبد النبي ص ١٢١.

وكما يستعمل هذا العدد مفردا، يستعمل كذلك مركبا مع عشر، فيقال: اثنا عشر في حالة التذكير واثنتا عشرة في حالة التأنيث كما يستعمل تاما في حالة العطف فيقال اثنتان وعشرون، أو ثنتان وعشرون.

ويعرب إعراب المثنى رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، كما يعرب في حالة التركيب دون نون، مستعاضا عنها بلفظ عشر، فيقال اثنا عشر واثنتا عشرة، ويعرب معطوفا عليه كالمثنى بحسب موقعه رفعا بالألف، ونصبا وجرا بالياء.

وعن هذا اللفظ مكررا يعدل لفظا (ثاء ومثنى) أي: اثنين اثنين، كما في قوله تعالى: "فاتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"، ومنه تشتق اللثنائية والمثنى والثنائى.

والعددان (١، ٢) يوافقان المعدود مفردين أو مركبين أو معطوفين في حالات الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتذكير.

العدد (ثلاثة): ويرمز إليه بـ (3) أو (٣). وهو لفظ مشتق من ثلث، وإليه ترجع كل الصيغ التي تدل على الثلاثة، مثل: ثلث وثلثي وثلوث وثلث، وعنه مكررا يعدل لفظا (ثلاث ومثلث) أي ثلاثة ثلاثة، ومنه قوله تعالى: "فاتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"^(١).

وهذا العدد هو بداية الجمع وأقله، ويشكل مع الأعداد التالية له إلى تسعة فئة الأعداد المخالفة، التي لا تتوافق مع معدوداتها التي تليها، وتكون مضافة إليها نحو: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

(١) النساء الآية ٣.

ومما يقال في هذا العدد أنه إذا عطف على مجروره المعدود، لا يجوز في معطوفه إلا الجر، لأنه جمع واحد وليس بجمعين فيقال: عندي ثلاثة رجالٍ ونسوة بالرفع، بمعنى أن عندي ثلاثة رجالٍ وعندي نسوة.

العدد (أربعة): ويرمز إليه بـ (4) أو (٤)، وهو عدد زوجي مشتق من ربع، وتعود إليه كل مفهومات الرباعية وألفاظها، من رباعي ورباع وتربيع ورباع وربع ومربع ورباعية، وعنه مكررا يعدل لفظ (رُبَاعٍ وَمَرَبَعٍ)، كما تقدم في قوله تعالى: "وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"^(١).

وهذا العدد من الأعداد الزوجية المخالفة لمعدوداتها في التذكير والتأنيث، ومعدوده لاحق به مجرورا بالإضافة، وإذا عطف عليه لم يجز فيه إلا الرفع كما تقدم في لفظ ٣، إذ لا يجوز الجر لأن الأربعة تحتوي على جمع واحد فيقال: لدي أربعة رجالٍ وامرأة أي لدي ثلاثة رجالٍ وعندي امرأة واحدة.

العدد (خمسة): ويرمز إليه بـ (5) أو (٥)، وهو عدد وتري مشتق من (خمس)، ومنه تشتق الصيغ المستعملة في الدلالة على التخميس، نحو خمس وخماسي وخميس وخامس ومخمس ومخموس، وعن الخمسة يعدل لفظا (خُماسٍ ومَخْمَسٍ) أي: خمسة خمسة.

وهذا العدد كسابقه من مجموعة الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ومعدوده مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه رفع ولا مساع للجر، لأن العدد لا يتألف من جمعين، فيقال في مثله: عندي خمسة رجالٍ ونساء، أي: ثلاثة رجالٍ وامرأتان إذ لا يوجد من العدد خمسة إلا جمع واحد.

(٢) النساء الآية ٣.

العدد (ستة): ويرمز إليه بـ (6) أو (٦)، وأصل اللفظ سدس^(١)، فلما كثرت في الكلام أبدلوا السين تاء فصارت ست^(٢) فالتغيير الأول للتقريب من غير إدغام، والثاني مقصود به الإدغام^(٣). وذكر ابن يعيش أن إدغام ست إنما هو على سبيل الشنوذ، والذي يدل على أن أصل ست سدسة بالدال أننا في التصغير نقول سديسة وفي الجمع نقول أسداس ولا نقول: أستات.^(٤)

وهذا العدد يدل على ست وحدات، وكل وحدة منه تسمى سدسا، كما أن كل مشتقاته السداسية مأخوذة منه كالسداسي والمسدس والسديس، وعنه يعدل لفظا سُداس ومَسْدَس أي ستة ستة، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ولا يكون معدودها إلا جمعا مجرورا، والمعطوف عليه يجوز فيه الجر كما يجوز فيه الرفع فيقال عندي ستة رجالٍ ونساءٍ أو نساءً.

العدد (سبعة): ويرمز إليه بـ (7) أو (٧). وهو لفظ مشتق من (سبع) ويدل على سبع وحدات، وإليه تعود كل المشتقات كالسباعي والسابع، وعنه يعدل لفظا سُبَاع ومَسْبَع أي سبعة سبعة.

ومن استخداماته اللغوية والدينية قوله تعالى: "الذي خلق سبع سموات طباقا"^(٥) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله" إلى آخر الحديث، وقوله كذلك: "إذا ولغ الكلب في إنياء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب"، وهذا العدد مخالف لمعدوده تذكيرا وتأنيثا، ويكون مجموعا مجرورا، وإذا عطف عليه جاز جر معطوفه لوجود جمعين، أو رفعه

(١) مختار الصحاح مادة ست، ص ٢٨٤ - الرازي.

(٢) ابن جني، عثمان، الخصائص ج ٢/ ص ٤٧٢. دار الهدى للطباعة/ بيروت.

(٣) الخطيب/ عبد اللطيف/ لغويات ص ١٧٤.

(٤) شرح المفصل ص ١٢٣ لابن يعيش نقلا عن كتاب لغويات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.

(٥) سورة الملك الآية ٣.

فيقال: عندي سبعة رجالٍ ونساءٍ أي: عندي ثلاثة رجال وأربعة نساء أو أربعة رجال وثلاثة نساء.

ولهذا العدد فضائل كثيرة سردها صاحب المخلاة، ومنها أنه عدد مقنع لأنه مذكور في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وأعضائه التي بها يطيع الله. (١)

وعن ابن الخباز في شرح الإيضاح قوله: وقد استقرت ما وقفت عليه من كتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أر عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد. (٢)

العدد (ثمانية): ويرمز إليه بـ (8) أو (٨)، وهو لفظ مشتق من (ثمن)، ويدل على ثماني وحدات تسمى كل وحدة (ثمانًا)، وإليه تعود اشتقاقاته المعروفة، نحو: ثمين ومثمن وثمانني، وعنه يعدل لفظًا ثمان ومثمن أي ثمانية ثمانية، والياء فيه للنسب مثل الياء في اليماني وهو بذلك منسوب إلى الثمن. (٣)

والثمانية من الأعداد المخالفة لمعدودها، وتثبت ياءه مع المذكر والمؤنث في حالة الإضافة، فيقال ثمانية رجال وثمانية نساء وتسقط هذه الياء مع التثنية عند الرفع والجر كما تثبت عند النصب، فيقال: هؤلاء رجالٌ ثمانٍ ومررت برجالٍ ثمانٍ حيث يعامل معاملة (جوارِي)، ومعدود هذا العدد مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه جرُّ المعطوف تبعًا له.

(١) العاملِي، بهاء الدين محمد بن حسين، المخلاة ص ٣٥٥ دار المعرفة، بيروت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكفوي، الكليات، ج ٢، ص ١٢٨.

العدد (تسعة): ويرمز إليه بـ (9) أو (٩)، وهو ثلاث ثلاثات^(١) ويدل على تسع وحدات، والوحدة منه تسمى تسعا أو تسيعا، ويجمع على أتساع، ومنه يشتق التاسع والتساعي، وعنه يعدل لفظا (تُسَاع ومَتَسَع) الممنوعين من الصرف، ويعنيان تسعة تسعة، وهذا العدد مخالف لمعدوده في التذكير والتأنيث، كما أن معدوده مجرور بالإضافة، والمعطوف عليه يجر فيقال عندي تسعة رجال ونسوة، لأن العدد مكون من ثلاثة جموع.

العدد (عشرة): ويرمز إليه بـ (10) أو (١٠). وهو لفظ مشتق من عشر ويدل على عشر وحدات، وكل وحدة يطلق عليها عشر، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها تذكيرا وتأنيثا إذا كان مفردا، ويخالف إذا كان مركبا مع الواحد إلى التسعة، ولا يشكل في هذه الحالة بنفسه عددا مفردا، وإنما يعد مع غيره عددا واحدا مبنيا معه على الفتح، إلا مع العدد (اثنان) الذي يعرب إعراب المثني رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، ويبقى لفظ عشر مبنيا على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمثابة النون كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ومن لفظ عشرة تشتق وحداته الجزئية، نحو: العُشْر الذي يجمع على عشور وأعشار ويقال للجزء عشير ويجمع عليها عشراء، وفي الحديث الشريف (تسعة أعشار الرزق في التجارة)، ويقال كذلك للجزء الواحد معشار، وقيل إن المعشار هو عشر العشر، أي: الواحد من العشر كما يقال إنه عشر العشير أي: أنه واحد من ألف، لأنه عشر عشر العشر.

والعشرة بأجزائها تشكل العقد الذي هو عشرة أجزاء، ومنها تتكون ألفاظ العقود وهي عشرون إلى (تسعون) والعشرة أولها.^(٢)

(١) محيط المحيط للبستاني مادة عشر في باب العين ثم الشين ثم الراء.

(٢) محيط المحيط للبستاني.

والعشرة قد سميت عقدا لأنها تشكل جماعة الأجزاء التي تتم بسقف المجموعة العددية، كما يتم عقد البيت بضم حجارة سقفه بعضها إلى بعض. (١)

والعقد هو العدد يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد، والعقود لدى النحاة هي التي تبدأ بعشرة وتنتهي بتسعين. (٢)

ولفظ عشرة مفتوح الشين دائما، وقد تكسر أو تسكن عندما تكون مركبة مثل خمس عشرة، وربما تكسر كما ورد في لغة تميم لطول الاسم وكثرة حركاته، إلا في اثني عشر فإن الشين لا تسكن إلا لسكون الألف والياء قبلها.

وهذه المجموعة من الأعداد إذا لم يكن لها معدود وقصد بها العدد المطلق كانت كلها بالتاء، نحو: ثلاثة نصف ستة وثمانية ضعفا أربعة وتكون في هذه الحالة ممنوعة من الصرف لأنها أعلام. (٣)

الأعداد المركبة: ومن ألفاظ العقد الأول تتكون الأعداد المركبة مع لفظ عشرة، لتكون بذلك المجموعة الثانية من مجموعات الأعداد، مثل أحد عشر وثلاثة عشر إلى تسعة عشر، وتتميز هذه المجموعة بأنها مبنية على فتح الجزأين في كل الحالات الإعرابية، ما عدا لفظ ١٢ الذي يعرب أوله إعراب المثنى كما ذكر آنفا.

ألفاظ العقود: ومن مفردات العقد الأول كذلك تتكون ألفاظ العقود المضاعفة، وهي عشرون إلى تسعون، وهي في الأصل مبنية من (عشرة) بعد

(١) المرجع السابق

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج ٤، ص ٤٨٦.

(٣) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، لألفية ابن مالك، ج ٤، ص ٦١.

ابن هشام الأنصاري - جمال الدين بن عبد الله، الجامع الصغير في النحوت ٧٦١هـ، ١٣٦٠م، ص ٢٠٢.

الجامع الصغير في النحو لابن هشام، ص ٢٠٢.

تضعيفها، وألفاظ العقود في حقيقتها ليست جموعاً، وإنما هي أسماء جموع^(١) لأنها تدل على الجمع ولا مفرد لها مثل قوم ورهط ونساء، إذ إنها أسماء موضوعة لهذه الألفاظ، وليست جمعا لعشرة أو ثلاثة.

فالعشرة هي أول العقود كما ذكرنا، فإذا تبيت أو كررت لمرة واحدة فهي العشرون، ولثلاث فهي الثلاثون، ولأربع فهي الأربعون، ولخمس فهي الخمسون، ولست فهي الستون، ولسبع فهي السبعون، ولثمان فهي الثمانون، ولتسع فهي التسعون.

فالعشرون تعني عشرين، ويلحق في إعرابه بجمع المذكر السالم، ولا يعد جمع مذكر سالما لعدم وجود مفرد له، ويرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وقد يتساءل أحد عن السبب في اعتباره ملحقا بجمع المذكر السالم دون أن يثنى، فيقال: عشرينان موافقة للمعنى، وفي اعتقادنا أن لفظ العشرين يعني العشرين من حيث دلالته على العقد أي أنه عقدان أو مجموعتان، لكنه باعتبار دلالته العددية فهو عشرون فردا أو جزءا، ولا نصيب له في التثنية في مثل هذا المعنى.

ولفظ العشرين من الألفاظ المحايدة التي لا تتأثر بمعدودها من حيث التذكير والتأنيث، كما أن معدوده دائما مفرد منصوب، ولا يأتي جمعا حتى لا يلتقي جمعان من غير فاصل بينهما.

ويعلل الفراء لذلك بقوله: العدد وضع على نفسه لا على أنه صفة لصاحبه، فقالوا: نلزم العشرين النون لأننا لم نقصد به قصد الرجال، ولا قصد النساء، ولا ما بين ذلك لما بعد: وكان الاسم ليس له واحد منه يعرف فلما لم يكس على بناء ذهب به إلى مجهول العدد، تقول العرب: لقيت منه الأمرين فلم يحط بعدد، كما لم يعرف للعشرين ولا للتسعين واحد منه.^(٢)

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤، ص ٤٧٢.

(٢) الأبنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي ج ٢، ص ٢٥٥.

الثلاثون هي العقد الثاني من ألفاظ العقود، ويعني ثلاث عشرات، ويتحقق فيه معنى الجمع من ناحيتين:

الأولى دلالاته على الثلاث - وهي أول الجمع

والأخرى دلالة العشرات الثلاثة على مفهوم المعدود ذي الأفراد المتعددين.

وهذا العقد كسابقه ملحق بجمع المذكر السالم من حيث إعرابه بالواو رفعا وبالياء جرا ونصبا، واعتبر ملحقا لخلوه من مفرد له من لفظه.

وبالنسق نفسه يجري الكلام في أربعين وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتسعين، إذ يصدق عليها كلها أنها مضاعفات العشرة، وأن إعرابها كإعراب المذكر السالم، وإذا عرفت بأل قيل فيها: العشرون والثلاثون والتسعون وأن لها تميزا مفردا منصوبا كما ذكر أنفا في لفظ عشرين وما صحبه من تعليل للفراء.

وربما تُمَيِّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خلاف المعهود المذكور، فيقال: عندي عشرون دراهم على معنى: عشرون شيئا، كل واحد منها دراهم^(١) وحمل عليه قوله تعالى في العدد المركب ذي التمييز المفرد المنصوب: "وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا" على معنى (فرقة) أي: كل فرقة منهم أسباط.^(٢)

وهذه العقود لا تضاف إلى مميزها، ولكنها قد تضاف إلى أصحابها فيقال: هذه عشرو محمد بحذف النون من أجل الإضافة وهذه عشروك وستوك، على معنى هذه حصتك مما لك من العشرين أو الستين درهما.

وورد في قول الكميت ما يؤيد ذلك إذ قال:

(١) ابن الناظم بدر الدين محمد بن مالك - شرح الألفية منشورات ناصر خسرو بيروت ص ٢٨٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح الألفية: منشورات ناصر خسرو، بيروت، ص ٢٨٧

(وستوك قد كربت نكتمل)

أي: السنون السنة الخاصة بك من عمرك.^(١)

المائة والألف وهما الفئة الرابعة من العدد الأصلي، وتمثل عددين يجمعان بين شيء من خصائص المجموعات كلها، من جر للمعدود إلى أفراد له أو جمعه حيناً آخر، إلى حيادية في التذكير والتأنيث كألفاظ العقود، ولهما بعد ذلك سمات خاصة يتميزان بها.

فالعدد (مائة) ويرمز إليه بـ (100) أو (١٠٠)، وهو عدد مؤنث^(٢)، ويحتوي على عشر عشرات، ويقال في لفظه (مئيه)، وهو من الأسماء الموصوف بها، يقول سيبويه: مررت برجل مائةٍ إيلُهُ^(٣)، ويجمع على مئات ومئون بكسر الميم وضمها، وأصل لفظ مائة مئى، والهاء عوض عن الياء المحذوفة.

وقد يشتق منه فعل، فيقال: أمأيت القوم أي كانوا تسعة وتسعين فجعلتهم مائة، ولهذا العدد تمييز مفرد مجرور بالإضافة حيث يقال: لدي مائة كتاب، وقد شذ تمييزه بمفرد منصوب كما جاء في قول الشاعر: إذا عاش الفتى مائتين عاماً، وهذا أمر لا يقاس عليه.^(٤)

وقد يضاف إلى الجمع كما جاء في قراءة حمزة لقوله تعالى: "ثلاث مائة سنين"، والتي تنسب كذلك إلى الكسائي، وقد خطأها المبرد، ولم يجوزها إلا في الشعر حيث قال: وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) الأنباري، المذكر والمؤنث ص ٢٤٠.

(٣) اللسان ابن منظور، باب الياء فصل الميم ص ٢٦٨ ط ١٩٦٨ دار صادر بيروت.

(٤) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، ص ٢٨٦.

للضرورة^(١)، ومن النحاة من يقرها، فأبو حيان ينقل تجويز أبي علي لإضافة مائة إلى الجمع حيث قال: وقال أبو علي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع.^(٢)

والعدد (مائة) عدد حيادي مع معدوده بالنسبة للتذكير والتأنيث، إذ يذكر لفظه دون أن يتأثر بمعدوده فيقال: مائة رجل ومائة امرأة بلفظ واحد.

والأصل في لفظ مائة أن يكتب هكذا (مئة) بدون ألف - ولكن الألف قد اجتمعت فيها حتى لا تختلط اللفظة بكلمتي (منه) وفئة. وتسمى المائة هندية والمائتان هند إذ التصغير للصغير والتكبير للكبير.^(٣)

الألف ويرمز إليه بـ (1000) أو (١٠٠٠)، وهو عدد مذكر في لفظه^(٤) وقد يؤنث على أنه جمع، ويجمع على ألف وآلاف، ويقال ألوف في جمع آلاف أي أنه: جمع الجمع، قال تعالى: "وهم ألوف حذر الموت"^(٥).

وهذا العدد يحتوي على عشر مئات، ويعد في العربية مبلغ الأعداد ونهايتها. وعندما تراد مضاعفاته، يقال: ألف ألف، وهو ما يعرف عند المحدثين بالمليون.

ولهذا العدد تمييزه المفرد المجرور بالإضافة، حيث يقال: في القاعة ألف رجل، ويكون جمعا مجرورا إذا كان مجموعا نحو: في القرية ألوف الرجال.

(١) تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة على المقتضب ج٢، ص ١٧١.

(٢) تحقيق عبد الخالق عضيمة للمقتضب ج٢، ص ١٧١، نقلا عن البحر ج٦، ص ١١٧.

(٣) ابن مكي الصقلي، تنقيح اللسان، ج٢، ص ١٧١، القاهرة تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٤) الأنباري، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

والألف عدد حيادي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يتأثر بمعدوده من هذا الجانب، ويبقى على لفظه كالمائة.

وقد يوصف بالمؤلفة فيقال: ألف مؤلفة أو ألوف مؤلفة، أي: مكملة.^(١)

المخالفة بين العدد والمعدود

قد لا يكون تكرارا أن نتحدث عن العدد المخالف للمعدود في التذكير والتأنيث، وبخاصة أننا قد ذكرنا ذلك عرضا في أثناء الحديث عن الأعداد من (٣-١٠)، فمثل هذه المخالفة ظاهرة بارزة في بناء العدد والحديث عنه، إذ يقتضي السياق والمنطق أن يذكر العدد للمعدود المذكر، وأن يؤنث للمعدود المؤنث، وأما أن يختلفا فهذا أمر يستدعي الوقوف عنده لجلاء سره وبيان حكمته.

فللعدد كما ذكرنا أحكام كثيرة، لا تتحصر كما قلنا في الدلالة المقدارية الحسابية، وإنما تتعداها إلى التركيب والصياغة والإعراب، ومما لا شك فيه أن ظاهرة المخالفة كما أشرنا تبدو غريبة، ولولا أن الاستقراء اللغوي قد أثبت ذلك لكانت المطابقة هي الأولى.

ولهذا نرى التركيز عليها قليلا، لعنا نجلو شيئا من الحقيقة المتعلقة بها، وقد يكون من المفيد قبل أن نخوض في فلسفة التعليل واستعراض ما ذكر في هذا الصدد أن نبرز هذه المخالفة من باب التذكير بها، ليسهل علينا بعد ذلك الربط بينها وبين ما قيل من أسبابها.

فإذا كان العددان واحد واثنان، وهما يشكلان الفئة المسالمة يطابقان المعدود السابق لهما، ومجموعة العقود وكذلك المئة والألف، وهي الفئة المحايدة

(١) انظر مختار الصحاح، الرازي، ط دار الكتب مادة ألف ص ٢٢.

لا تتأثر بالمعدود تذكيرا وتأنيثا، فإن المجموعة العددية التي تبدأ من (٣-٩) وتنظم بها العشرة مفردة وهي الفئة المعاندة تخالف معدودها فتذكر معه إن كان مؤنثا، وتؤنث معه إن كان مذكرا وذلك بالنظر إلى مفرد هذا المعدود كما يرى الجمهور أو إلى لفظ الجمع كما يرى البغداديون^(١).

ولسنا بحاجة إلى جدول هذه الأعداد، فهي مشروحة بالتفصيل في كل مؤلفات النحو المرجعية والمنهجية.

ولكن ما سر هذه المخالفة ولماذا كانت ؟

تعليل المخالفة: لم تقع مخالفة العدد للمعدود كما ذكرنا آنفا إلا في نطاق هذه المجموعة، وهي مخالفة واجبة في مختلف استعمالاته، سواء أكانت مفردة أم مركبة أم معطوفا عليها، وقد عللت هذه المخالفة بأقوال عديدة منها: أن هذه الأعداد مؤنثة الأصل، مثل: زمرة وفرقة وطائفة، فرئي أن يستصحب الأصل المذكر لسبقه، وأن يكون التذكير مع المؤنث لكونه لاحقا للمذكر ومتأخرا عنه^(٢)، وذكر الأردبيلي في شرحه للأنموذج، معللا لذلك أن هذه الأعداد بمعنى (جماعة)، فهي في المعنى مؤنث، فينبغي أن تزداد علامة التأنيث في لفظها لتطابق المعنى، والمذكر لكونه أصلا وهو أولى برعاية هذه المطابقة، وإذا روعيت فيه ففي المؤنث لا يمكن وإلا لم يبق فرق بينهما.^(٣)

وقيل إن من حق هذه الأعداد أن تستعمل بالتاء مطلقا لأن مسماها جموع، والجموع غالباً عليها التأنيث، ولكن أرادوا التفريق بين المذكر والمؤنث

(١) الأشموني ج٤، ص ٦١ ط الحلبي.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص ٦١ الحلبي.

(٣) شرح الأردبيلي للأنموذج في النحو للمزمخشري تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

فجاءوا بعدد المذكر بالتاء على القياس لكونه أصلاً، وبعدها المؤنث بغير التاء للتفريق. (١)

وقال الفراء: تثبت الهاء في عدد المذكر، ولا تدخل في عدد المؤنث، لأن العدد مبني على الجمع، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون في جمع صبي صببية وفي جمع غلام غلّمة وفي جمع رغيّف أرغفة، وفي قرد قرده وحجر حجارة أثبتوها في عدده، لأن العدد مبني على الجمع.

ولما كانوا لا يدخلونها في جمع المؤنث، فيقولون في جمع ركبّة ركب، وقرّدة قرّد وغرفة غُرف لم يدخلوها كذلك في عدد المؤنث، لأن العدد أيضاً مبني على الجمع. (٢)

ويقول أبو حاتم السجستاني: إنما أدخلوا الهاء في عدد المذكر، ولم يدخلوها في عدد المؤنث، لأن المؤنث أثقل من المذكر، وأكثر المؤنث فيه هاء التانيث، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء، ليكون أخف له، لأن الهاء لزمّت الواحدة ولذلك ثقل فكرهوا أن يمكنوا ذلك النقل حتى لا ينتقل من الواحدة إلى الجماعة، ففسروا من ذلك فحذفوا الهاء في الجمع ليعتدل الجمع، فيكون ثقيل مع خفيف، وأما المذكر فخفف فأدخلوا الهاء في جمعه، فقالوا ثلاثة ليكون ثقيل مع خفيف فيعتدل، وكرهوا أن يجمع بين الثقيلين، فجعلوا ثقيلًا مع خفيف وخفيفًا مع ثقيل. (٣)

وقيل في هذا الصدد أكثر مما ذكرنا مما دار في معظمه حول خفة التذكير وثقل التانيث وجريان كل من المؤنث والمذكر على أصله.

(١) ابن الناظم، بدر الدين بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، ص ٢٨٤.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وفي اعتقادنا أن الآراء التي ذكرت هي ضرب من التعسف والتحليل الفلسفي الذي لا فائدة منه دائما، وإنما هو ضرب من الترف الفكري، لا نملك إلا تقديره وليس قبوله بالضرورة - وما نرجحه في هذا الصدد هو أن الاستقراء وتتبع الجزئيات لإدراك الكليات وإحقاق حقائقها هو الذي أفضى بنا إلى استخدام العدد كما ورد، وحسبنا أن نجد ذلك في النصوص المعتمدة وبخاصة القرآن الكريم كما في قوله تعالى: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما"^(١) وليس بيقين أن يكون ثقل المركب الإضافي المكون من جمعين سببا في تخفيفه باختلاف المتضايقين تذكيرا وتأنينا درءا له من ثقل ثالث.

ومع هذا نعود ونقول إن الاستقراء وواقع اللغة هما اللذان يقران هذه الظاهرة، دون الوغول في تحليلها وتفسيرها، ولولاها لما وجد في نظرنا مانع من جريان الأمر على طبيعته فيتوافق المذكر مع المذكر والمؤنث مع المؤنث.

يقوي ذلك إمكان الأمرين (المطابقة وعدمها) في حالة تقديم المعدود على العدد في مثل: قرأت الكتب الثلاث أو الثلاثة، علما بأن المركب الوصفي لا يقل ثقلا عن المركب الإضافي. ويعززه كذلك قوله تعالى في كتابه العزيز "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"^(٢)، حيث ذكر العدد مع كون المعدود جمعا مذكرا، ولم يكن في ذلك أي ثقل في اللفظ، ولا نذهب بعيدا بالاغترار في ما ذهب إليه النحاة من التأكيد على أن الآية جارية على أصلها، وأن العدد مع معدوده المؤنث حيث قالوا: الأمثال جمع مثل والمثل مذكر، أي أنه جمع لمذكر وصف لمحنوف مؤنث، يكون معه تقدير الآية هكذا "من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها"^(٣).

(١) الحاقة الآية ٧.

(٢) الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) الأبياري محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج ٢، ص ٢٣٨.

ولا ندري لم هذا التخريج، والاستخدام واضح ولا يحتاج إلى تحميله ما لا ضرورة لتحميله إياه، وحسبنا أن نقول إن المخالفة استقرائية يقتضيها النسق التعبيري الذي تهدف إليه لغتنا في مختلف أحكامها، كالحذف والتعويض والقلب والتخفيف، وإن ما ورد مما يخالف ذلك يحمل على الجواز والقلّة وحسب.

العدد الترتيبي:

سبق أن ذكرنا أن العدد ينقسم إلى، أصلي وقد ذكرناه وترتبي وهو ما

سنحدث عنه:

فإذا كان العدد الأصلي هو العدد الدال على الكميات، فالترتبي هو العدد الذي يدل على ترتيب الأشياء والمفردات وبيان مواقعها وأوصافها.

وهذا يعني أن العدد الدال على الترتيب هو عدد وصفي أي أنه نعت لغيره موجودا هذا الموصوف أم مقدرًا، لذلك كان حكمه الإعرابي المتابعة لموصوفه طالما أنه في موقع النعت، فنقول: أكرمت الطالب الأول أو الثاني أو الثالث في صفه، ونقول كذلك هذا السؤال الثاني عشر والتاسع عشر، وهذه هي المرة العشرون أو التسعون أو المائة أو الألف.

ويطابق العدد الترتيبي معدوده في التذكير والتأنيث والتعريف والتكثير والإفراد والتثنية والجمع وفي وجوه الإعراب، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يطابق موصوفه في أربعة من الوجوه العشرة التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم وشروحهم.

ومعظم مفردات العدد الترتيبي مصوغ على وزن فاعل ويتعين ذلك في مجموعة الواحد إلى العشرة و في الجزء الأول من العدد المركب والمعطوف عليه في العقود، وأما العقود ذاتها ولفظا المائة والألف فيصاغ منها الترتيب على ألفاظها بقرينة المقام.

فالعدد المفرد وهو من (١-١٠) يعبر عن الترتيب منه بلفظ الأول عن الواحد. ولا يقال واحد وواحدة وحادي وحادية إلا في حالتها العطف والتركيب، فيقال الواحد والعشرون، والواحدة والعشرون أو الحادية عشرة أو الحادي عشر وفي غيرها يقال: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر.

وفي المركب بعامة: يقال حادي عشر وثاني عشر وثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر وسادس عشر وسابع عشر وثمان عشر وتاسع عشر مع المذكر وبالتاء في الجزأين مع المؤنث بحسب الموصوف وتكون هذه الأعداد الوصفية مبنية على فتح الجزأين كما في العدد الكمي.

وفي المعطوف، يقال: الحادي والعشرون إلى (التاسع والتسعون) فالمعطوف عليه يطابق معدوده في كل ما للصفة، في حين أن العطف المعطوف لا يتأثر بالتذكير ولا بالتأنيث كشأنه وهو عدد أصلي وأما العقود من لفظ عشرين إلى تسعين، وكذلك المائة والألف، فهي ألفاظ عددية تدل على الترتيب بقرينة التعريف اللفظية أو الحالية فيقال: وصلت في قراءة الكتاب إلى الصفحة الأربعين أو الصفحة المائة أو الصفحة الألف.^(١)

وللعدد الترتيبي ثلاث دلالات:

الأولى: دلالة الوصف المطلق، نحو رابع وعاشر وتاسع عشر والعشرون والألف.

والثانية: الدلالة على أن الموصوف واحد من مجموعة لا تتعدى العدد المشتق منه كأن يقال: هذا ثالث ثلاثة أو خامس خمسة أي أنه أحد الخمسة دون الإشارة إلى موقعه بينهم ويلاحظ أن صياغته تجمع بين النوعين الترتيبي والأصلي. ومثاله قوله تعالى: "ثاني اثنين إذ هما في الغار"^(٢)

(١) الشرتوني، رشيد، ص ١٤٥.

(٢) التوبة الآية ٤٠.

الثالثة: الدلالة على التأثير في العدد الأصلي بجعله زائدا عليه بأن يكون مضافا إليه أو عاملا فيه النصب على معنى "جاعل" كأن يقال: هذا رابع ثلاثة، أي جاعل الثلاثة أربعة أو عاشر تسعة أي أنه جاعل التسعة عشرة، ويتم ذلك كما قلنا بإضافة الأول للثاني بتتوين الأول ثم نصب الثاني. وإلى هذين الاستعمالين يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

وإن ترد بعض الذي منه بنى تضاف إليه مثل بعض بين
وإن ترد جعل الأقل مثل ما فوق فحكم جاعل أحكما

وبالعددین الأصلي والترتیبی ورد قوله تعالى: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا".^(١)

العدد الصريح والكنائي

وينقسم العدد من حيث الدلالة المباشرة وغير المباشرة إلى عدد صريح وعدد كنائي.

فأما الصريح، فهو العدد الذي يدل على المعدود مباشرة برمزه نحو (٣) أو بلفظه نحو ثلاثة.

وأما العدد الكنائي، فهو اللفظ الذي يدل على العدد دلالة غير صريحة ولا محدودة.

وله ألفاظ خاصة يؤدي بها وتختلف في ما بينها من حيث الدلالة، وينحصر هذا العدد الكنائي في المعنوية والمقدارية في بعض الأحيان، وينحصر

(١) الكهف الآية ٢٢.

هذا العدد في كم الاستفهامية والخبرية وكأين وكذا وكذا وألفاظ البضع والنيف والضعف وفي رأينا أن الجموع أيضا بكل أنواعها كنايةات عددية وفي حسبنا تعدادها لا تفصيلها.

العدد ولغة التاريخ: التاريخ هو تقييد الحوادث والأمور الجارية بزمن معين مشهور بحيث ترتبط به وتتسب إليه، سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت في زمن آخر. (١)

وقد جرت عادة المؤرخين المحدثين أن يؤرخوا للوقائع بالعدد الأصلي أو الترتيبي، كأن يقال مثلا: جلا الإنجليز عن أرض فلسطين في يوم ١٥/٥/١٩٤٨ أو يقال: في اليوم الخامس عشر من أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

في حين أن المؤرخين القدامى قد جرت عادتهم على التأريخ بالليالي من الشهر القمري لسبقها على النهار (٢) وذلك من خلال تعبيرات سليمة اللغة مراعى فيها قواعد التذكير والتأنيث وقواعد إلحاق الضمائر بالفعالين (خلا) أو مضى للتعبير به عما انقضى و (بقي) للتعبير به عن الأيام التي بقيت من الشهر.

فالشهر الهجري تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون، توزع الأحداث المراد تأريخها على أيامه، فعلى افتراض أن الشهر الذي يراد التأريخ فيه هو شهر رمضان، فإن الأحداث الواقعة فيه تصاغ تواريخها بالأشكال الآتية:

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٦٣٢.

التاريخ	الليلة	الحدث	(١٥) رمضان	التاريخ	الليلة	الحدث
لأربع عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	السادسة عشرة	* * *	النصف من رمضان أو لمنتصف رمضان، وقد يقال لخمس عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان أو لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	لمهل شهر رمضان أو مستهله أو لأول ليلة منه - أو لغزته - وقع كذا وكذا	الأولى	* * *
لثلاث عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	السابعة عشرة	* * *		ليلتين خلتا من رمضان	الثانية	* * *
لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو بقيين من رمضان	الثامنة عشرة	* * *		لثلاث ليال خلون أو خلت من رمضان	الثالثة	* * *

لأحد عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان	التاسعة عشرة	* * *	لأربع ليال خلون أو خلت من رمضان	الرابعة	* * *
لعشر ليال بقين أو بقيت من رمضان	العشرون	* * *	لخمس ليال خلون أو خلت من رمضان	الخامسة	* * *
لتسع ليال بقين أو بقيت من رمضان	الحادية والعشرون	* * *	لست ليال خلون أو خلت من رمضان	السادسة	* * *
لثمانى ليال بقين أو بقيت من رمضان	الثانية والعشرون	* * *	لسبع ليال خلون أو خلت من رمضان	السابعة	* * *
لسبع ليال بقين أو بقيت من رمضان	الثالثة والعشرون	* * *	لثمانى ليال خلون أو خلت من رمضان	الثامنة	* * *

لست ليال بقين أو بقيت من رمضان	الرابعة والعشرون	* * *		لتسع ليال خلون أو خلت من رمضان	التاسعة	* * *
لخمس ليال بقين أو بقيت من رمضان	الخامسة والعشرون	* * *		لعشر ليال خلون أو خلت من رمضان	العاشر	* * *
لأربع ليال بقين أو بقيت من رمضان	السادسة والعشرون	* * *		لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان	الحادية عشرة	* * *
لثلاث ليال بقين أو بقيت من رمضان	السابعة والعشرون	* * *		لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان	الثانية عشرة	* * *
للبيتين بقيتا من رمضان	الثامنة والعشرون	* * *		لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان	الثالثة عشرة	* * *

لليلة بقيت من رمضان	التاسعة والعشرون	* * *	لأربع عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان	الرابعة عشرة	* * *
لسرر رمضان أو لسرارة أو لآخر ليلة منه أو لسلخه أو لانسلاخه	الثلاثون	* * *			

ومن أمثلة هذا الاستخدام الميدانية، ما جاء في البداية والنهاية عن غزوة هوازن حيث قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

ويواصل فيقول: وقال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره.^(١)

وفي الطبري^(٢) ذكّر لبعض الأحداث التي وقعت في عام سبعة وثمانين بعد المائتين حيث قال: ولأربع ليالٍ بقين من صفر دخل المعتضد من منزله إلى بغداد، وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولي جعفر بن محمد بن حنفي هذا، ولليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد الخبر عن السلطان أن كذا وكذا، وفي يوم الأحد لعشر خلون من شهر ربيع الآخر قعد بدر مولى المعتضد في داره، وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر مات محمد بن عبد الحميد الكاتب.^(٣)

والسيوطي في مقدمة المزهر يقول عن نفسه: وكان مولدي بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين.

وهكذا ومن خلال الجدول السابق والأمثلة التي أوردناها نلاحظ الصياغة اللغوية الصحيحة في التعبير عن التواريخ من خلال ما يلي:

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج ٤.

(٢) الطبري، ج ١٠، ص ٥٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر.

(٣) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٧٥-٧٦.

أولاً : استخدام الفعل خلا للأيام الماضية من الشهر حتى منتصفه، وقد يستعمل الفعل مضى بدلاً منه كما استخدم الفعل بقي للأيام التالية لليوم الخامس عشر حتى آخره.

ثانياً : غلبة استخدام تاء التأنيث مع الأعداد التي تميز بمفرد وهي من (١١-١٩) لمراعاة الأصل واستخدام نون النسوة مع الأعداد التي تميز بجمع وهي من (٣-١٠) ولمراعاة الأصل كذلك مع جواز أن تخلف النون التاء وبالعكس.^(١)

ثالثاً : تمييز الليلة الخامسة عشرة وكذلك الأخيرة بأوصاف تميزهما عن بقية الليالي.

رابعاً : من الممكن إضافة العدد إلى تمييزه ليلة أو ليال أو تقديره كما في العدد ذاته الذي يجوز فيه أن يذكر معدوده أو يقدر كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان إيماناً واحتساباً وأتبعهن ستاً من شوال فقد دخل الجنة (بحذف معدود الستة).

خامساً : السلام الجارة لكلمة ليلة بمعنى عند أو في بتقدير مضاف أي عند استقبال أو في استقبال^(٢)

ومما يجدر التأكيد على ملاحظته هنا أن التأريخ بالليالي لسبقها كما قلنا، ولكن هل يجوز اتباع النهج نفسه في تأريخ الأحداث بالأيام كما التأريخ بالليالي

(١) الأشموني، شرح الأشموني للكافية، ج٤، ص ٧٩ + عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٥

(٢) الصبان، الحاشية، ج٤، ص ٨٧.

بالليالي ؟ إجابة عن ذلك، نقول: إن ذلك لم يرد في الحقيقة ولم ينتهج هذا النهج أحد في ما نعلم. ومع هذا فإننا نعتقد جوازه من باب القياس والمحاكاة مع مراعاة التعبيرات نفسها واستخدامها في إطار ما تقتضيه قواعد التذكير والتأنيث وإلحاق الضمير.

فلا مانع في ما نرى أن يقال مثلاً: لأربعة أيام خلون أو خلت من أكتوبر حدث كذا وكذا أو لثلاثة عشر يوماً بقين أو بقيت من أكتوبر وقع كذا وكذا.

العدد وحساب الجمل

ويقتحم العدد الحسابي فنون اللغة وأساليبها فنجده يترجم الحروف الأبجدية إلى مقادير أسموها حساب الجمل، وأحرف الجمل هي مجموعة من الحروف تشكل بألفاظها هذا الحساب.^(١) وعنه يقول ابن دريد ولا أحسبه عربياً^(٢) وحساب الجمل هو حساب الأحرف الهجائية الذي يقال له حساب الأبجدية المجموعة في إيجد، هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية.^(٣) إذ إن لكل حرف حسابه الذي يغطي به بالشكل التالي:

(١) السيوطي، المزهري، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٢) الوافي (معجم وسيط اللغة العربية الشيخ عبد الله البستاني)

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ط ٢٢ مادة جمل ص ١٠٢.

الألف	تعادل	١	الياء	تعادل	١٠	القاف	تعادل	١٠٠
الباء	تعادل	٢	الكاف	تعادل	٢٠	الراء	تعادل	٢٠٠
الجيم	تعادل	٣	اللام	تعادل	٣٠	الشين	تعادل	٣٠٠
الدال	تعادل	٤	الميم	تعادل	٤٠	التاء	تعادل	٤٠٠
الهاء	تعادل	٥	النون	تعادل	٥٠	الثاء	تعادل	٥٠٠
الواو	تعادل	٦	السين	تعادل	٦٠	الخاء	تعادل	٦٠٠
الزاي	تعادل	٧	العين	تعادل	٧٠	الذال	تعادل	٧٠٠
الحاء	تعادل	٨	الفاء	تعادل	٨٠	الضاد	تعادل	٨٠٠
الطاء	تعادل	٩	الصاد	تعادل	٩٠	الظاء	تعادل	٩٠٠
						الغين	تعادل	١٠٠٠

ومن هذه الحروف ومقاديرها نشأ التاريخ الشعري، وهو لون بديعي نشأ في أواخر العصر المملوكي.^(١) وهو أن يضع الشاعر في آخر أبياته وبعد كلمة أرخ أو مشتقاتها كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل اجتمع فيها تاريخ المناسبة التي يغطيها، سواء أكانت مناسبة وفاة أو ولادة أو حج أو إنجاز أو زواج.

ومنه قول شاعر يؤرخ لطبع المخصص لابن سيده في عام ١٣٢١ هـ: إذ

قال:

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب وميشيل العاصي، المجلد الأول.

أقول لما انتهى طبعا أوزخه جاء المخصص يروي أحسن الكلم

٤ ٨٥١ ٢٢٦ ١١٩ ١٢١

ومجموع هذه الأرقام هو سنة الطباعة وهي: ١٣٢١ هـ.

وفي نموذج لشاعر آخر في تهنئة ولده بمولود له رزقه الله به في شهر
ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ حيث قال:

صُهَيْبًا جَاءَ فِي شَهْرٍ عَظِيمٍ	بِهِ حَجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ
فَقُلْتُ إِلَى أَبِيهِ الْيَوْمَ أَنَا	وَأَبْشُرُ بِالْغَلَامِ عَلَى الدَّوَامِ
صَحَابِيَّ جَلِيلًا كَانَ يَدْعَى	بِهَذَا الْاسْمِ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ
وَجَاءَ إِلَيْهِ تَارِيخِي بِصَدَقٍ	صُهَيْبِ جَاءَنَا فِي خَيْرِ عَامِ
١٩٦	١٠٧ ٢٦ ٩٠ ٨١٠ ١١١

العدد وطرائف اللغة

ليس العدد في كل لغات الأرض ببعيد عن مجال الألفاظ والتحية
واختبارات الذكاء واكتناه ما وراء الأعداد من مدلولات ونتائج وإشارات.

وهو في اللغة العربية كذلك، مادة لاختبار الذكاء ووسيلة للتعرف إلى
مستويات الإدراك ومقاديرها ودرجاتها.

ويزيد على ذلك أن العدد في لغتنا متوافر في الأحاجي العربية
والموضوعات اللغوية بدرجة تدل على موقعه البارز في الدراسة اللغوية سواء
من حيث صياغته أو تركيبه أو إعرابه أو أصول مفرداته.

فقد وجدنا العدد الحسابي في موضوع دخول (ما) على إن وأخواتها، وذلك في صدد الحديث عن (ليت) التي تعمل أو تهمل دون أخواتها في حالة اقترانها بما. ويستشهد النحاة على ذلك بشاهد نحوي هو في الوقت نفسه أحجية رياضية وذلك في قول النابغة على لسان امرأة تدعى زرقاء اليمامة، يقال أنها نظرت إلى السماء، ورأت سربا من الحمام استطاعت بذكائها وحدة نظرها أن تعرف عدده بمجرد أن رأته وعن ذلك تقول الرواية إنها: (١)

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه قديّة

وفي رواية أخرى أنها قالت (٢):

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيه * أو نصفه قديّة * تم الحمام مية

وهي بذلك تريد أن تقول: ليت العدد الذي أراه من الحمام في السماء مع الحمامة التي لدي مضافا إلى نصفه يكون المجموع مائة، أي أن العدد المقصود هو ست وستون.

فالمسألة كما تبدو رياضية أشير لها في شاهد نحوي وهو جواز نصب الحمام بإعمال ليت وجواز رفعه بإهمالها.

وفي قول سيدنا عمر بن الخطاب في شأن قوله تعالى: "إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا" لن يغلب عسر يسرين، وقد ذكر النحاة أن النكرة إذا أعيدت نكرة أي كررت مرة ثانية كانت الثانية غير الأولى وأن المعرفة إذا ذكرت مرتين كانت الثانية عين الأولى.

(١) الأشموني، شرح الأشموني، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) حاشية الصبان، علي الأشموني، ج ١، ص ٢٨٤.

فالبسر في الآية الكريمة قد ذكر مرتين فالأول فيهما غير الثاني في حين أن العسر وهو معرفة قد ذكر مرتين فالعسر الثاني هو عين الأول فهو عسر واحد - وعليه فالبسر يسران والعسر عسر واحد ومثل ذلك أن نقول:

اشتريت سيارة وبعث سيارة فالثانية غير الأولى.

وإذا قلت اشتريت السيارة وبعث السيارة فالثانية هي عين الأولى.

ومن طرائف العدد كذلك ما ورد في قول أبي نواس متحدثاً عن مجلس لهو في قصيدة له، حيث قال^(١):

ودارِ ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثرَ منهم جديدٌ ودارس
أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يومَ الترحلِ خامس

فقد اختلف في عدد الأيام المقامة إن كانت خمسة أو ثمانية، فمن قائل إنها خمسة ومن قائل إنها ثمانية وهو الصحيح لأن الشطر الأول ينبئ عن ثلاثة أيام كاملة والشطر الثاني ينبئ عن خمسة أخرى تبدأ باليوم الذي ذكر في الشطر الثاني وكان له خامس، أي أنه يتحدث عن خمسة أيام يكون اليوم الذي تصدر فيه الشطر الثاني أحدها وليس رابعاً ختم بالخامس، فعلى ذلك يكون المجموع ثمانية أيام.

ويقول اللغويون: دخل رمضان في الواوات، يكونون بذلك عن انقضاء الثلثين ودخول الشهر في الثلث الأخير الذي يبدأ من (٢١-٢٩) حيث يقال واحد وعشرون وخمس وعشرون وتسع وعشرون بعطف العقد على العدد بالواو، ولا يخفى ما في هذه الكناية اللغوية من لطف ظاهر في توظيف اللغة في التكنية عن العدد.

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٣، ص ١٧٥.

ومن طرائف العدد أيضاً حديث النحاة عن واو يسمونها واو الثمانية^(١) وهي التي تسبق العدد ثمانية عند العد حيث يقال واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، بإدخال الواو على ثمانية دون غيرها لأن السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف.^(٢)

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف^(٣): "ويقولون سبعة وثمانهم كلبهم"، حيث أنت الواو بعد السبعة، وفي قوله كذلك: "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها"^(٤) حيث ذكرت الواو في قوله (وفتحت) لأن أبواب الجنة ثمانية، في حين أن الواو لم تذكر في الحديث عن أبواب جهنم لكونها سبعة، حيث قال تعالى: "حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها"^(٥).

وجاءت الواو في قوله تعالى: "والناهون عن المنكر" سابقة للوصف الثامن، وعن واو الثمانية هذه، يقول ابن هشام: ذكرها من النحاة الحريري، ومن النحويين الضعفاء ابن خالويه.^(٦) في حين أن العاملي يقول عنها على لسان أبي علي المالقي: أنها لغة فصيحة لبعض العرب، ويعقب بقوله: واللغة الفصيحة التي أشار إليها هي لغة قریش.^(٧)

من كل ما قدمناه وذكرناه عن العدد نخلص إلى أن:

-
- (١) ابن هشام، المغنى، ج ٢، ص ٣٥.
 - (٢) العاملي، بهاء الدين، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، المخلاة ص ٣٥٤ + ابن هشام، المغنى، ج ٢، ص ٣٥.
 - (٣) الكهف آية ٢٢.
 - (٤) الزمر الآية ٧٣.
 - (٥) سورة الزمر الآية ٧١.
 - (٦) ابن هشام، المغنى، ج ٢، ص ٣٥.
 - (٧) العاملي، المخلاة، ص ٣٥٤.

- العدد هو اللفظ الدال على المقدار سواء أكان ملفوظاً أم مكتوباً في حين الرقم هو العدد المكتوب وليس الملفوظ، وهذا يعني أن كل رقم عدد وليس كل عدد رقماً.
- المخالفة في التذكير والتأنيث بين الأعداد (٣-٩) ومعدوداتها ظاهرة استقرائية ونظام لغوي ينطلق من مفهوم التخفيف والتناسق وكل ما قيل عدا ذلك تعليقات جدلية لا ترقى إلى الحقيقة.
- الجموع وأسماء الجموع ولفظ ضعف كنايات عديدة يجب أن تذكر ضمن كنايات العدد لأنها لا تدل على المقادير صراحة.
- العدد اللغوي لا ينسلخ عن مفهومه الحسابي وبذلك يدخل كتركيب وتعبير في الألفاظ وامتحان الذاكرات الحسابية كما يدخل في التعبير عن الأحداث والتأريخ لها بسمت تعبيرية خاص تعامل معه المؤرخون القدامى في مراجعهم التاريخية التي تؤرخ للحروب والوقائع والمناسبات.
- العدد قد حظي في اللغة العربية من البحث والتقنين والتأصيل ما لم يحظ به في أي لغة أخرى ولهذا نجده دائماً من موضوعات النحو ومفرداته ودروسه.
- ويعد: فهذا هو العدد الحسابي في وجوه اللغوية اشتقاقاً وصياغة وتركيباً وإعراباً واستخداماً. نأمل أن نكون قد عرضناه للقراء بطريقة سلسة طريقة يتقرب بها إلى الأذهان والألسنة والأقلام.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أساس البلاغة - الزمخشري.
- ٣- البداية والنهاية لابن الأثير.
- ٤- تنقيف اللسان لابن مكي الصقلي.
- ٥- الجامع الصغير لابن هشام.
- ٦- حاشية الصبان - علي الأشموني ط الحلبي.
- ٧- حاشية الجمل.
- ٨- محيط المحيط (معجم) البستاني.
- ٩- مختار الصحاح (معجم) الرازي.
- ١٠- الخصائص - ابن جنّي - دار الهدى للطباعة.
- ١١- خزنة الأدب - البغدادي.
- ١٢- المذكر والمؤنث - أبو بكر الأنباري.
- ١٣- المزهرة للسيوطي.
- ١٤- زهر الآداب للحصري.

- ١٥- شرح الألفية لابن الناظم.
- ١٦- شرح الأردبيلي للأتموزج - مكتبة الآداب - القاهرة.
- ١٧- شرح الأشموني - ط البابي الحلبي - مصر.
- ١٨- شرح المفصل لابن يعيش.
- ١٩- شرح عمدة الحافظ لابن مالك.
- ٢٠- تصريف الأسماء - الطنطاوي.
- ٢١- صناعة الكتابة وفن التعبير د. طلال علامة.
- ٢٢- الطبري - تاريخ - دار المعرفة بمصر.
- ٢٣- المعجم الأساسي.
- ٢٤- المعجم الوسيط.
- ٢٥- تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة علي المقتضب.
- ٢٦- معجم الأدوات النحوية / عبد الغني الدقر.
- ٢٧- التعريفات للجرجاني.
- ٢٨- المعجم المفصل.
- ٢٩- مغني اللبيب لابن هشام.

- ٣٠- المخللة للعالمي - دار المعرفة بيروت.
- ٣١- تفسير الجلالين - السيوطي والمطي.
- ٣٢- تفسير القرآن الكريم - مختصر القاسمي - دار النفائس.
- ٣٣- المفصل في علم العربية للزمخشري.
- ٣٤- الفصول الخمسون لابن معطي.
- ٣٥- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد - سعيد الشرتوني.
- ٣٦- الكليات - الكفوي.
- ٣٧- اللسان (معجم) ابن منظور.
- ٣٨- لغويات - عبد اللطيف الخطيب.
- ٣٩- مبادئ العربية - رشيد الشرتوني.
- ٤٠- النحو الوافي - عباس حسن.
- ٤١- المنجد في اللغة (معجم).
- ٤٢- الهمع للسيوطي.
- ٤٣- الوافي (معجم) عبد الله البستاني.